﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١﴾ [يس: 11]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

التّعقيبُ على عدمِ الانتفاعِ بالإنذار بوجودِ مَن تذكّرَ ونالَ المغفرةَ والأجرَ

لمّا أعلمَ أنَّ السّببَ المانعَ منَ السَّمعِ مثلُ المانعِ منَ البصر، وأخبرَ أنَّ الأكثرَ هُمُ المُتّصفونَ بهذه الصّفة، استشرفَ السّامعَ إلى أمارةٍ يَعرِفُ بها الأقلَّ النّاجي؛ لأنَّه المقصودُ بالذّات فأجابَ عنه بالآيةَ[1]؛ إذ لمّا بُيِّن كونُ الإنذارِ عندهم كعدَمِه عقّبَ ببيانِ مَن يتأثَّر منهُ[2]، وأيضًا لمّا تضمَّنَ قَوْلُهُ: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ أنَّ الإنْذارَ في جانبِ الَّذينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ أنَّهُمْ لا يُؤْمِنونَ هوَ وعَدَمُهُ سَواءٌ، وكانَ ذَلِكَ قَدْ يوهِمُ انْتِفاءَ الجَدْوَى مِنْ غيرِهم وبَعْضٍ مِنْ فَضْلِ أَهَلِ الإيمانِ أَعْقَبَ بِبَيانِ جَدْوَى الإنْذارِ بِالنِّسْبَةِ لِمَنِ اتَّبَعَ الذِّكرَ وخشيَ الرَّحمنَ بِالغَيْبِ؛ فجاءتْ هذهِ الآية[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱتَّبَعَ﴾: أَصْلُ (تبع) التُّلُوُّ والقَفْوُ، يُقالُ: تَبِعتُ فُلانًا إذا تَلوتَهُ واتَّبَعْتَهُ، وأَتْبَعْتُهُ إذا لَحِقْتَهُ، كأنَّما لَحِقَ أوِ التصقَ به وتَطَلَّبه مُتَّبعًا له، والاتِّباعُ: اقْتِفاءُ أَثَرِ الماشي، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ في العَمَلِ بِمِثْلِ عَمَلِ الغَيْرِ، وأمّا التَّتبُّع فأنْ يتتبَّع في مُهْلة شَيئًا بعدَ شَيْءٍ[4]، والمُرادُ بالاتِّباعِ في الآيةِ: الاقْتِفاءُ والسَّيْرُ وراءَ سائرٍ، وهوَ هُنا مُسْتَعارٌ لِلْإقْبالِ عَلَى الشَّيْءِ والعِنايَةِ بِهِ[5].

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 16/ 99.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 7/ 159.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 352.
(4) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللُّغة، والرّاغب، المُفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (تبع).
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 352.

2) ﴿وَخَشِيَ﴾: أصلُ (خشي) يَدُلُّ على خَوْفٍ وذُعْرٍ، يُقالُ: خَشيَهُ؛ أيْ: خافَهُ وذُعِرَ مِنْهُ، والصّحيحُ أنَّ الخَشْيَةَ خوفٌ ممّا يُخشى منه مَعَ تَعظيم له، وأكثرُ ما يكونُ ذلكَ عَن عِلْمٍ بما يَخافُ مِنْهُ[1]، وتأتي الخَشْيَةُ بمعنى تألُّم القَلْب بسببِ توقُّع مكروهٍ في المُستَقبَل[2]، وخَشيةُ الرَّحمن: الخوفُ منه مَعَ تعظيمِه للعلْم بصفاتِه، فيتولّدُ منه الخضوعُ والتّقوى له سبحانَه في خوَيْصَةِ النّفسِ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الإنـــذارُ يكـونُ لمَن آمَنَ وخَشي ونـالَ المغـفـرةَ والأجرَ الرّضيّ

يقولُ اللّه سبحانه: إنَّما تُنذِرُ يا محمَّدُ إنذارًا نافِعًا مَنِ اتَّبَع القُرآنَ، فآمَنَ بأخبارِه، وعَمِل بأحكامِه، وتُنذِرُ إنذارًا نافِعًا مَن خَشيَ اللّهَ الرَّحمنَ بالغَيبِ، فبَشِّرْ يا محمَّدُ هذا الذي اتَّبَع القُرآنَ وخَشيَ الرَّحمنَ بالغَيبِ بمغفرةٍ ما فَرَطَ منه من الزلّات، والأجرِ الكريم، والنَّعيم المُقيم الّذي لا يُستطاعُ وصفُه، ممّا لا عينٌ رأَتْ ولا أذُنٌ سَمِعَتْ ولا خطَرَ على قلبِ بَشَرٍ[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الفصلِ في الآية:

استيفاءُ المعنى بـذِكْـرِ قسيمِ الكافرينَ، وهُمُ المؤمنونَ حقًّا

لمّا كان قولُه تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بيانًا لحالِ أكثرِ المُنذَرين من الغفلةِ عن الإنذارِ، الّذينَ لا ينفَعُ معَهم نصحٌ أوْ إرشادٌ، حتَّى إنَّ اللّه تعالى جعلَ بينَهم وبينَ الإنذار والإيمانِ سُدودًا منيعةً تحجبُهم عنه - جاءَ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفردات، والسَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (خشي).
(2) المناويّ، التّوقيف على مُهمّات التّعاريف، ص: 155.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 353.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 407، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 11، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 565.

بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ على الفصلِ لشبهِ كمالِ الاتّصال؛ إذ لمّا بيّن النَّظمُ الكريمُ أنَّ الكافرينَ المُصمِّمينَ على الكفرِ ليسوا مَحَلًّا للإنذارِ نشأَ سؤالٌ مقدّرٌ مفادُه: أينَ يتحقّقُ الإنذار؟ ومَن ينتفعُ به إنْ كان الأكثرُ غيرَ مُنتفعينَ به؟ فقال تعالى مُجيبًا عن ذلك: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾.

ظهورُ ثمرةِ الإنذارِ تأنيسٌ للمُنذِرِ وتقويةٌ له على دَعوتِه

ذُكِرَ الَّذين ينتفعونَ بإنذارِ رسولِ الله ﷺ في قولِه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ بعدَ ذِكرِ المَيؤوس منهم في قوله: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ تأنيسًا لرسولِه ﷺ بالمؤمنينَ، وتقويةً له بظهورِ ثمرةِ إنذارِه فيهم، وإراحةً لقلبِه ﷺ من أولئك المُصمّمينَ على الكفر، لتتوجَّهَ العنايةُ التامّةُ إلى هؤلاءِ الَّذينَ يَتّبعونَ الذِّكرَ ويخشَونَ الرّحمنَ بالغيب، كما أنَّ في الكلام ترقيةً من الأدنى إلى الأعلى مَرتبةً[1].

بلاغةُ القصر ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ﴾:

لا يُؤتي الإنذارُ ثمرتَه إلّا مع المُستعِدِّ للانتفاعِ به

لمّا كانَ موضوعُ ﴿إِنَّمَا﴾ على أنْ تُسلَكَ معَ خبرٍ لا يَجهلُهُ المخاطَبُ ولا يَدفعُ صِحَّتَه؛ لأنَّه في نفسِه جليٌّ، كانَ تخصيصُ إنذارِ رسولِ الله ﷺ بمَن يَتّبعُ الذِّكرَ ويخشى الرَّحمنَ بالغيب هو في حُكمِ الظّاهرِ المعلومِ، الّذي لا يُنكَر ولا يُدفَعُ ولا يَخفى[2].

دلالةُ القَصرِ بـ﴿إِنَّمَا﴾:

تخصيصُ مَن يَنفعُهُ الإنذارُ باتّباعِ الذِّكرِ وخشيةِ الرّحمنِ بالغَيبِ

لمّا كانَ معلومًا أنَّ الإنذارَ إنَّما يكونُ إنذارًا ويكونُ له تأثيرٌ إذا كانَ معَ مَنْ يؤمِنُ باللهِ ويَخْشاهُ ويُصدِّقُ بالبعثِ والقيامةِ وأهوالِها، فأمّا الكافرُ الجاهلُ المُصمّم على كُفره، فالإنذارُ وتَرْكُ الإنذارِ معَه سواءٌ - كان القصرُ بـ﴿إِنَّمَا﴾ في قوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ على معنى تخصيصِ مَن ينفعُهُ الإنذار؛

(1) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 304.

(2) الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 332، والسّكاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 295.

أي: الإنذارُ الّذي يترتّبُ عليه المقصودُ وهو اتّباعُ الذّكرِ وخشيةُ الرّحمنِ بالغيب، فيكونُ القصرُ حقيقيًّا، وإنْ نُزّلَ إنذارُ الّذينَ لَمْ يَتّبعوا الذِّكْرَ ولَمْ يَخْشَوْا مَنْزِلَةَ عَدَمِ الإنْذارِ في انْتِفاءِ فائِدَتِهِ كان قصرًا ادّعائيًّا، وليس على جهةِ القَصْرِ المُطلَق[1].

توجيهُ المُتشابِهِ اللّفظيّ في الدّلالة على الإنذار:

الإنـــذارُ الّـذي لا يُـفـضي إلى الانـتـفـاعِ منه مُـنـزَّلٌ منـزلةَ العَدَمِ

قد يقالُ: إنَّ المفهوم ممّا تقدّمَ في الآيات ثبوتُ الإنذارِ للمُصمّمينَ على الكفر، والمفهومُ من الآية انتفاءُ الإنذار عنهم، وظاهرُ الآية يناقضُ ما تقدّمَها؟ وجوابُه: أنَّه لمّا قال الله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ أفادَ أنَّ الإنذارَ مُطلقٌ شاملٌ للمُنذَرين الّذين لا ينفعُهم الإنذارُ والّذين ينفعُ فيهم ذلك، ثمَّ قسَّم المنذَرين بعدَ ذلك في قوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ على قسمَيْن، وحكمَ على أكثرِهم أنَّهم لا يُؤمنونَ، ثمَّ علّل ذلك بتصميمِهم على الكُفرِ وعدمِ إبصارِهم الحقَّ، ثمَّ أذِنَ لحبيبِه ﷺ بالإياسِ منهم، فقال: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فكانَ قصرُ الإنذارِ في الآية على مَن اتّبعَ الذِّكرَ وخشيَ الرّحمن بالغيب من بابِ (القصر الحقيقيّ)، والمُرادُ به مَن يتأثّرُ بالإنذارِ وينتفعُ منه ويحصلُ به المقصود، فيكونُ قد نزّلَ الإنذارَ الّذي لم يُفضِ إلى المقصودِ منزلةَ العدمِ، كأنَّه قيل: إنّما تنذرُ الّذين ينتفعونَ بالإنذار لا غيرَهم[2].

أوْ يُقالُ في توجيه الآياتِ إنَّ قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ يقتضي الإنذارَ العامَّ، وقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ يقتضي التّخصيصَ، فكيف الجمعُ بينهما؟ وطريقُهُ مِن وُجوه:

(1) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 448، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 354.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 257، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 13/ 16، وابن التّمجيد، حاشية على القونويّ: 16/ 99.

الأوّل: أنَّ قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ يدلُّ على عُموم الإنذار؛ أيّ: كَيْفَما كان؛ سواءٌ كان مفيدًا ومؤثِّرًا أوْ لم يكن كذلك، وأمّا قوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ فهو للإنذارِ المُفيد المُؤثِّر؛ أيّ: لا يكونُ إلّا بالنِّسبة لمَن يتّبِعُ الذِّكْرَ ويَخْشَى الرّحمنَ بالغَيب.

الثّاني: هو أنّ الله تعالى لمّا بيَّن أنَّ الإرسال أوِ الإنزالَ للإنذارِ، وذَكَرَ أنَّ الإنذارَ وعدمَه سيّانِ بالنِّسبةِ إلى أهلِ العِناد، قال لنبيِّه ﷺ: ليس إنذارُك غيرَ مُفيدٍ مِن جميعِ الوجوه، فأنذِرْ على سبيلِ العموم، وإنَّما يُنْذَرُ بذلك الإنذارِ العامِّ مَن يتَّبعُ الذِّكرَ، كأنَّه يقول: يا محمَّد؛ أَنذِرْ بإنذارك وتُتَبَعْ بذِكْرِك.

الثّالث: أنَّ قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ على العموم، فإذا أنذرتَ يا محمَّد ﷺ وبلّغتَ، واستهزأ البعض وتولَّى واستكبرَ فبعد ذلك: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾[1].

بلاغة التّعريض في الآية:

مَـن لـم يتّبعِ الـذِّكْـر ولـم يخشَ؛ فهو بلا عقلٍ يفقَهُ ولا قلبٍ يخشَعُ

لمّا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ كان ظاهرًا أنْ ليس الغرضُ أنْ يعلمَ السّامعون ظاهرَ المعنى؛ لأنَّ رسولَ الله ﷺ يُنذرُ مَن اتّبعَ الذّكرَ ومَن لم يَتّبِعْه، ومَن خَشيَ الرّحمنَ بالغيب ومَن لم يخشَهُ، ولكنَّ الغرضَ أنْ يُذَمَّ الكافرون، على طريقِ التّعريض بأمرٍ هو مُقتضى معنى الكلام بعدَها، فإنَّ الكلامَ على تقدير: (إنّما تُنذِرُ مَن اتّبعَ الذّكر وخشي الرّحمن بالغيب لا غيرَهم) ففيه تعريضٌ بالمُصمِّمين على الكُفر الَّذين لم يَتّبعوا الذِّكْرَ ولم يخشَوُا الرّحمنَ بالغيب، وأنَّ مَن لم يتّبع الذِّكْرَ ولم تكن له هذه الخشيةُ، فكأنَّه ليس له أُذُنٌ تسمَعُ وقلبٌ يعقلُ؛ فالإنذارُ معه كلا إنذار؛ لأنَّ الإنذارَ معَه لا يُجدي[2].

(1) ابن عادل، اللُّباب: 16/ 176.

(2) الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 354، والقزوينيّ، الإيضاح: 3/ 39.

فائدةُ التّعبيرِ بالمضارعِ ﴿تُنذِرُ﴾:

يُفيدُ التّعبير بصيغة المضارع في قوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾ استمرارَ الإنذارِ وتجدُّدَه، حالًا فحالًا، معَ مَن ينتفعُ منه، أوْ يُتوقّعُ الانتفاعُ منه.

دلالةُ الاسمِ الموصول في: ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ﴾:

الإنذارُ والبِشارة لكلِّ فردٍ أعظمُ مِن أنْ يكونا للمجموع

عبّر بالاسمِ الموصول ﴿مَنِ﴾ في قوله: ﴿تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾ ليفيدَ العموم، والعمومُ هنا على البدل؛ لأنَّه قصدَ به المفردَ بقرينةِ الضّمير المُستترِ العائدِ على الاسمِ الموصولِ في ﴿ٱتَّبَعَ﴾ و﴿وَخَشِيَ﴾ و﴿فَبَشِّرۡهُ﴾، ونكتةُ مجيءِ الاسمِ الموصول على معنى المفرد الإشعارُ بأنَّ العمومَ على البدل، ليفيدَ تعلُّقَ الإنذار بكلِّ فردٍ ممّن اتّبعَ الذّكرَ وخشي الرّحمنَ بالغيب، وليفيدَ كذلك تعلُّقَ البشارة بالمغفرة والأجرِ الكريم لكلِّ فردٍ عمومًا بدليًّا، وهو أعظمُ وأفخمُ من البشارة على المجموع، لِما يُشعرُ به الفردَ من تخصيصِه بالبِشارة.

فائدةُ صلةِ الموصولِ في ﴿ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾:

مدحُ مَنِ اتّبع الذِّكْرَ وخشيَ الرّحمنَ بالغيبَ، وتشريفٌ لفعلِهم

لمّا كانت صلةُ الموصول في قوله: ﴿ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾ معلومةَ الانتسابِ إلى مُشارٍ إليه عندَ المُخاطَبين، عبّر بها للإيماءِ إلى وجهِ بناءِ الخبرِ وبيانِ سببِه؛ بمعنى أنَّ سببَ قصرِ الإنذارِ على المذكورينَ دونَ غيرهم هو اتّباعُهم الذِّكْرَ وخشيتُهم الرّحمنَ بالغيب، أوْ أنَّ الإنذارَ يكون نافعًا بسببِ اتّباعهم الذِّكْرَ وخشيَتِهم، ويتفرّعُ على الوجهيْنِ مدحُ المذكورينَ وتشريفُ فعلِهم، بقي أنَّه قد يتوجّهُ سؤالٌ مفادُه: إنْ كان قد اتّبعَ الذِّكْر وخشي الرَّحمنَ؛ فما الدّاعي إلى إنذارِه وتخويفِه بالآيات؟ وهل هذا إلّا تحصيلٌ للحاصل؟ والجوابُ عن ذلك أنَّ المُرادَ بـ﴿ٱتَّبَعَ﴾ وما عُطِف عليه: أرادَ الاتّباعَ والخشيةَ، فهو مجازٌ مُرسَلٌ، أوِ المُراد به مَن استشرفَ الاتبّاعَ والخشيةَ وقاربَهما وتطلَّعَ

إليهما وأقبلَ راغبًا فيهما، فهذا الَّذي يكونُ الإنذارُ نافعًا له، ولا يلزمُ منه تحصيلُ الحاصل.

فائدةُ (الواو):

لا ينفعُ اتّباعٌ من غير خشيةٍ، ولا خشيةٌ من غيرِ اتّباعٍ

تفيدُ (الواو) في قوله: ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ التّشريكَ في الحُكم، والمعنى: إنّما ينتفعُ من الإنذار مَن جمعَ بين إرادتَي اتّباعِ الذّكْرِ وخشيةِ الرّحمن بالغيب، فلا ينفعُ اتّباعٌ من غير خشيةٍ، ولا تنفع خشيةٌ من غيرِ اتّباع، وفي الجمعِ بين الفعلَيْنِ إشارةٌ إلى عملِ الجوارح الَّذي يكونُ بالاتّباع لآيات الذِّكْر الحكيم والالتزامِ بالشَّعائر والأوامر، وإلى عملِ القلب الذي يكونُ بالخشية والخوفِ من الرَّحمن، لكنّه خشيةٌ مُقترنةٌ بالرَّجاء بدليل ذِكْرِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾، الَّذي يطمعُ في إحسانِه وعَفوِه، كما أنَّ فعلَ الاتّباعِ يدلُّ على التَّحليةِ بالأوامرِ القرآنيّة، وفعلَ الخشية يدلُّ على التّخليةِ من أمراضِ القلب وأدوائِه الباطنة، وأمرُ المؤمن بينَ اتّباعٍ وخشيةٍ مقرونَينِ بالطَّمع من الرَّحمن الرَّحيم.

نكتةُ تقديمِ اتّباعِ الذِّكْر على الخشيةِ:

اتّباعُ الذّكرِ سببُ حصولِ خشيةِ الرّحمنِ بالغيبِ

قُدِّم في صلةِ الموصولِ قولُه: ﴿ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾ على ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ للإيماءِ إلى أنَّ حصولَ المعطوفِ عليه سببٌ لحصولِ المعطوفِ؛ بمعنى أنَّ اتّباعَ الذِّكرِ سببٌ لحصولِ خشيةِ الرَّحمنِ بالغَيب[1].

بلاغةُ الاستعارةِ في قوله: ﴿ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾:

اتّباعُ الذِّكرِ يكونُ بتَصْديقِه وتدبّره، والإيمانِ بِما فيهِ

في قوله: ﴿ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾ استعارةٌ بالفعل ﴿ٱتَّبَعَ﴾؛ إذ شبَّه الإقبالَ على القرآنِ وإرادةَ الاعتناءِ به والسّيرَ على هُداه باتّباعِ الشّيء والسّيرِ وراءَه مُقتفيًا أثرَه كي لا يُخطئَ في الطّريق؛ لِأَنَّ المُتَّبِعَ شَيْئًا يَعْتَني بِاقْتِفائِهِ[2]، فوجهُ الشّبه الاعتناءُ بالمتبوع، والاهتمامُ به، ثمَّ

(1) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 304.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 253.

حُذِف المُشبَّه وذُكر المُشبَّه به على طريق الاستعارة التّصريحية التَّبعيَّة، واتِّباعُ الذِّكْرِ يكون بتَصْديقِه وفهمِه وتدبُّرِه والإيمانِ بِما فيهِ؛ لأَنَّ التَّدَبُّرَ فيهِ يُفْضي إلَى العَمَلِ بِهِ.

بلاغةُ مجيءِ الكلامِ على خلافِ مُقتضى الظّاهرِ:

تأثيرُ الإنذارِ إنّما يكونُ عندَ تحقُّقِ وقوعِ الاتّباعِ والخشيةِ

لمّا جاءَ الفعل ﴿تُنذِرُ﴾ بصيغةِ المضارع كان الظّاهرُ أنْ يعبّرَ بالفعلَيْن: ﴿ٱتَّبَعَ﴾ و﴿وَخَشِيَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ بصيغةِ المضارع؛ لأنَّ الإنذارَ إنّما يكونُ لِمَن يريدُ أنْ يتّبعَ الذِّكْر ولِمَن يريدُ أنْ يخشى الرّحمنَ بالغيب؛ فكانَ مجيءُ الفعلَيْنِ بصيغة الماضي على خلافِ مُقتضى الظّاهر، والنّكتةُ فيه الإيذانُ بأنَّ تأثيرَ الإنذارِ إنّما يكونُ عندَ تحقُّقِ وقوعِ الاتّباعِ والخشية[1]، والمُرادُ ابتداءً الاتّباعُ والخشيةُ، ففيهِ حثٌّ على التّحقُّقِ بالفعلَيْن، وفيه تنبيهٌ كذلك إلى أنَّ المؤمنَ يحتاجُ إلى الإنذار دائمًا؛ لئلّا يقعَ في المَناهي.

معنى التعريف في ﴿ٱلذِّكْرَ﴾:

القرآنُ أعلى أنواعِ الذِّكْرِ المُشارِ إليها في التّنزيلِ المُحكَم

(أل) في قوله: ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ عهديّةٌ، داخلةٌ على الاسم؛ أي: الذّكرُ المعهودُ الّذي أنزلَه اللّه تعالى وهو القرآنُ المذكور في قوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

نكتةُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿ٱلذِّكْرَ﴾:

القرآنُ ذِكْرٌ لِمَنْ تذكّر، وهُدًى لِمَن تأثّر وتدبّر

عُبِّر بالذِّكْرِ في قوله: ﴿ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾؛ للإشعارِ بأنّ القرآن ذِكْرٌ لِمَن يتذكّرُ به، وعِظَةٌ لِمَن يُنذَر به، ولمّا جاء اللّفظُ في سياق المَدْحِ للمُنتفعينَ بالإنذار؛ أفادَ أنّه ذِكْرٌ وشرفٌ وفخرٌ لِمَن آمنَ به واتّبعَهُ.

سرُّ تعليقِ الخشيةِ بـ﴿ٱلرَّحْمَٰنَ﴾:

لمّا كانتِ الخشيةُ فيها معنى الخوف، وكان الظّاهر أن تُعَلَّقَ على

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 390.

أهـلُ الخشيةِ يَكفيهم في الاتّعـاظِ من الإنـذارِ التَّذكيرُ بالنّعمِ الغِزارِ

مظهرِ العظمة؛ ليكونَ على نسق ﴿وَجَعَلْنَا﴾ بأن يُقال: (إنّما تُنْذر من خَشيَنا بالغيب)، فلمّا كان الأمر كذلك دلَّ العدولُ عن مظهر العظمةِ إلى الوصف بالرحمانيَّة في قوله: ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ على أنَّ اللّفظَ جاء على خلافِ مُقتضى الظّاهر، وفيه نكاتٌ ولطائفُ مُتعدّدة، الأولى: أنَّ أهل الخشيةِ يَكفيهم في الاتِّعاظِ والانتفاعِ من الإنذارِ التَّذكيرُ بالإحسانِ والنّعَمِ الظّاهرة[1]، والثانية: أنَّه تعالى يُخشى منه وهو الرّحمن، فكيف إذا لوحظَ أنَّه تعالى مُنتقِم قهّارٌ وشديدُ العقاب، فالخشيةُ تكونُ أشدَّ وأبلغَ، فذكرَ ﴿ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ للمبالغة في المنعِ عن الاغترار والانهماكِ في المناهي[2]، والثالثة: أنَّ الخشيةَ تورثُ الإحسانَ والنّعمَ العظيمة، والرّابعة: أنَّ الرَّحْمَةَ تورِثُ الاتِّكالَ والرَّجاءَ فذكرَ مَعَ أَنَّهُ رَحْمَنٌ، فالعاقِلُ لا يَنْبَغي أَنْ يَتْرُكَ الخَشْيَةَ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ كانَتْ نِعْمَتُهُ بِسَبَبِ رَحْمَتِهِ أَكْثَرَ فالخَوْفُ مِنْهُ أَتَمُّ؛ مَخافَةَ أَنْ يقطعَ عنه النِّعَمَ المتواترة، والمؤمن يخشى الرّحمنَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَسْلُبَهُ ما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، والخامسة: هي أَنَّ مِنْ أَسْماءِ اللّهِ اسْمَيْنِ يَخْتَصّانِ بِهِ، هُما اللّهُ والرَّحْمَنُ، كَما قالَ تَعالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: 110] فاللّهُ اسْمٌ يُنْبِئُ عَنِ الهَيْبَةِ، والرَّحْمَنُ يُنبئ عن العاطفيّة، فقال في موضع: ﴿يَرْجُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: 21]، وقال هاهنا: ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾؛ يَعْني مَعَ كَوْنِهِ ذا هَيْبَةٍ لا تَقْطَعوا عَنْهُ رَجاءَكُمْ، ومَعَ كَوْنِهِ ذا رَحْمَةٍ لا تَأْمَنوهُ[3].

سببُ التّعبير بصيغة المبالغة ﴿ٱلرَّحْمَٰنَ﴾:

رحمانيّةُ الله تقتضي الخوفَ من الله والرّجاءَ فيه

عبّر بصيغة المبالغة ﴿ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ في قوله: ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 16/ 99.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 99.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 257.

دونَ (الرّحيم)، للإشعارِ بأنَّ كثرةَ رحمةِ اللّه تعالى بالعبدِ تَقتضي خشيتَهُ دونَ الأمنِ من عذابِه ومعصيتِه[1].

دلالةُ الحالِ في شِبه الجُملة، ومعنى (الباء) فيها:

خشيةُ اللهِ بالغيبِ هي جوهرُ الإيمانِ بلا رَيبٍ

الجارُّ والمجرور في قولِه: ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ في محلّ نصبٍ حالٌ من الفعل (خَشيَ)، وصاحبُ الحال إمّا أن يكونَ الفاعلَ وهو الضّميرُ المستتر في الفعل (خَشيَ)، ويكون المعنى: وخَشيَ الرّحمن بالقلبِ المخفيِّ الّذي هو غيبٌ عن النّاس؛ أي: في سريرتِه وبالخَلوات عندَ مغيب الإنسانِ عن عيون البشر، وحينئذٍ تكون (الباء) في ﴿بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ للآلة، وإمّا أن يكونَ صاحبُ الحالِ المفعولَ به، وهو المُضافُ المحذوف على تقدير: وخشيَ عقابَ الرّحمن، ويكونُ المعنى: وخشي عقابَ الرّحمن قبلَ حُلولِه، حال كونِ ذلك العقاب غائبًا عنه، والمعنى: خشيَ عقابَ اللّه ولم يرَهُ، فتكونُ (الباء) في ﴿بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ للمُصاحبة[2].

فائدةُ الفاء في قوله: ﴿فَبَشِّرۡهُ﴾:

البِشارةُ مُرتّبةٌ على اتّباعِ الذِّكر، وخشيةِ الرّحمنِ بالغَيبِ

(الفاءُ) في قوله: ﴿فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ﴾ تفيدُ التّرتيب والسّببيَّة؛ بمعنى أنَّ البشارةَ مُرتّبةٌ على اتّباعِ الذِّكر وخشيةِ الرّحمن بالغيب، ومُسبَّبةٌ عنهما، أوْ أنَّ الأمرَ بالبشارة مُرتّبٌ على اتّباع الذِّكر والخَشية[3]، ولمّا كان التّبشير مُقيَّدًا بالمغفرةِ والأجرِ الكريم دلَّ على أنَّهما مُسبَّبانِ عن اتّباع الذِّكر وخشيةِ الرّحمنِ بالغيب.

نكتةُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿فَبَشِّرۡهُ﴾:

بيانُ أنّ الأمرَ بالبشارة من مهامّ الرّسولِ البشيرِ

لمّا ذكرَ اللّه تعالى أنَّ رسولَ اللّه ﷺ أُرسِلَ ليُنذِرَ في قوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 100.

(2) الكرمانيّ، لباب التّفاسير، ص: 2335، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 100، والشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 415، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 390.

(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 7/ 161، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 100.

لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ وذَكَرَ أَنَّ الإنْذارَ النّافِعَ يكونُ عِنْدَ اتِّباعِ الذِّكْرِ في قوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾، أعقبَه بذِكْرِ الأمر الثّاني من أمرَي الرّسالة، وهو أنَّ رسول الله ﷺ بَشيرٌ ونَذيرٌ، فكأنَّه قال: بشّرْ كما أنذرتَ ونفعتَ[1].

دلالةُ فعلِ الأمرِ ﴿فَبَشِّرْهُ﴾:

البشارةُ ملمحٌ للتّفاؤُل بعطاءِ اللهِ ورحمتِهِ

قد يُقالُ: لِمَ لَمْ يَقُلْ: (لتبشّره بمغفرةٍ وأجرٍ كريم) فيكونَ الفعلُ بصيغة المضارع على نسق: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾؟ وجوابُه أنَّه لمّا ذَكَرَ في هذه الآية الإنذارَ المُؤثِّر الّذي يُنتَفَعُ منه كانَ الإنذارُ على معنى تحقُّقِ وقوعِ أثرِه، وهو الانتفاعُ منه، فناسبَ أن يترتّبَ عليه الطّلبُ المُحقّقُ للبشارة، فقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ في حينِ لو استعملَ المضارع لما أفاد أنَّ مُريدَ الاتّباعِ قد اتّبعَ بالفعل وخشي بالفعل؛ بل كان في مرحلةِ الإنذارِ والتَّخويف.

بديع الطّباق بين ﴿تُنذِرُ﴾ و﴿فَبَشِّرْهُ﴾:

أوّلُ أمرِ المؤمنين الإنذارُ، وعاقبتُهُ التّبشيرُ بالفوزِ والاستقرارِ

الجمعُ بين ﴿تُنذِرُ﴾ و﴿فَبَشِّرْهُ﴾ في قوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ﴾ فيه محسّنُ الطّباق، ليفيدَ أنَّ الرّسول ﷺ بشيرٌ ونذير، فلمّا ذكرَ أَنَّ الإنْذارَ النّافِعَ عِنْدَ اتِّباعِ الذِّكْرِ، أعقبَهُ بذِكْرِ البِشارة، فقالَ: بَشِّرْ كَما أَنْذَرْتَ ونَفَعْتَ، مع الإيماءِ إلى أنَّ أوّلَ أمرِ المؤمنين الإنذارُ وعاقبتَهُ التّبشيرُ[2].

دلالةُ الضّمير في ﴿فَبَشِّرْهُ﴾:

البِشارةُ جزاءُ مَنِ اتّبعَ الهُدى، وخَشيَ المولى

يعودُ الضّمير في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ على الاسم الموصول معَ صلتِه، على إرادةِ تعيينِه بوصفِه الّذي اتّصفَ به، والمعنى: فبشّر هذا الَّذي اتَّبَعَ الذِّكْرَ، وخَشيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ، بمغفرةٍ وأجرٍ كريمٍ[3].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 257.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 257، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 353.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 415.

معنى الباء في قوله: ﴿بِمَغْفِرَةٍ﴾:

(الباءُ) في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ للملابَسة؛ بمعنى: مُلابسة المغفرةِ والأجرِ الكريم للبِشارة، فالبُشارةُ هي المغفرةُ والأجرُ الكريم.

فائدةُ التّنكير في: ﴿بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾:

بيانُ أنّ البِشارةَ تكونُ بالغُفرانِ العظيمِ، والأجرِ الكريمِ

التّنكيرُ في الأسماءِ الثّلاثة الوارد في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ للتّفخيم، والمعنى: فبشّره بمَغْفِرَةٍ واسِعَةٍ تَسْتُرُ مِنْ جَميعِ الجَوانِبِ[1]، وأجرٍ عظيمٍ ليس كسائرِ الأجورِ، وموصوفٍ بأعلى مراتبِ الكرَمِ الباذخِ.

دلالةُ تعليقِ المغفرةِ بالبشارة:

حاجةُ العبدِ للمَغفرةِ لا تنتهي في العاجلةِ والآجلةِ

لمّا علَّقَ المغفرةَ بالبشارةِ في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾؛ أفاد أنَّ العبدَ وإنِ اتّبعَ الذِّكْرَ وخشيَ الرّحمنَ بالغيب؛ فإنَّه لا يخلو من تقصيرٍ باقترافِ اللَّمَمِ أوِ ارتكابِ بعضِ الخواطرِ القلبيَّة أوْ ضياعِ بعضِ الأوقات، فيحتاجُ إلى المغفرة.

سببُ عدمِ تعليقِ المغفرةِ بالذّنوبِ:

مِن ألطافِ الله تعالى الكريمِ غضُّ الطّرفِ عن الذّنوبِ المُقترَفَة

لم يقُلِ الله تعالى: (فبشّرْه بمغفرةٍ لذُنوبِه)؛ بل أطلقَ فقال: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾؛ لأنَّ المقامَ مقامُ مدحٍ وبِشارة، فلا يناسبُهُ التّكديرُ بذِكْرِ الذّنوب، كما أنَّ حذف (الذّنوب) يُفيد عمومَ المغفرة لجميعِ الذّنوب، صغُرَتْ كالسيِّئاتِ أوْ عَظُمتْ كالكبائر، وتكرّرتْ مواقعتُهما والتوبةُ منهما[2].

علّةُ تقديمِ بشارةِ المغفرةِ:

الأجرُ لا يكونُ كريمًا إلّا بعدَ المغفرةِ حتّى يطمئنّ القلبُ تمامًا

قُدّمتِ بشارةُ المغفرةِ على بشارةِ الأجرِ الكريم في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾؛ لأنَّ التّخليةَ مُقدَّمةٌ على التّحلية، ولأنَّ الأجرَ لا يكون كريمًا إلّا بعدَ المغفرةِ[3].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 257.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 16/ 100.
(3) القونويّ، حاشية على القونويّ: 16/ 100.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿وَأَجْرٍ﴾:

جـعـلُ الأجـرِ مُـعـاوَضـةً على الـعـمَـلِ فيه امتنانٌ وإحسانٌ

عبَّرَ بلفظ ﴿وَأَجْرٍ﴾ في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ للإشعارِ بالجزاءِ بالثّوابِ على العمَلِ، فاللّه تعالى يُعطي أجرًا على عمَل المؤمن، ولمّا كان اتّباعُ القرآن وخشيةُ اللّه واجبَيْن على الإنسانِ بمُقتضى عبوديّته للّه تعالى كان جعلُ الأجر على طريقِ المُعاوضة على العمَل فيه معنى الامتنان والإحسان، فناسبَ مجيءُ لفظِ الأجر في سياقِ ذِكْر وصفِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنَ﴾، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ اتّباع الذِّكْر وخشيةَ الرّحمن بالغيبِ من المنافع، وأنَّ المؤمنَ كالأجير في الدّنيا، وأنَّ ما يعملُهُ له أجرٌ يُقابِلُهُ، وأنَّ الأجرَ قد يَتأخّرُ ولكنّه لنْ يَضيعَ[1].

سرُّ التقييدِ في ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾:

أجـرُ المؤمـنين وافـرٌ نفيسٌ لا يَشوبُهُ نقصٌ ولا تنغيصٌ

لمّا كان لفظُ (الكريم) اسمًا جامعًا لكلِّ ما يُحمَدُ ويُستحسَنُ، وكان (الكريم) هو المحمودَ فيما يُحتاجُ إليه، كان في تقييد ﴿وَأَجْرٍ﴾ بالصفة ﴿كَرِيمٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ إشعارٌ بأنَّ الأجرَ الَّذي يأخذُهُ كلُّ مؤمنٍ يومَ القيامة مقترنٌ بحَمْدٍ على الأحسن وتكرمةٍ، وأنَّه أجرٌ وافرٌ كبيرٌ نفيسٌ فائقٌ في صنفِه وجنسِه؛ أيْ: بشّره بأجرٍ هو أفضلُ الأجور وأشرفُها لاستغراقِه فضائلَ جنسِ الأجور، لا يشوبُ ذاتَه نقصٌ ولا منفعتَه ضرَرٌ، كما أنَّ ذِكْرَ صفةِ (الكريم) يُشعرُ بالاستغناء، فيُغني اللّه تعالى المؤمنينَ بهذا الأجرِ عن كلِّ أحدٍ[2]، وانتفى بهذا الوصفِ عنِ الأجرِ المنّةُ والإيذاءُ، فهو أجرٌ خالصٌ لا يَشوبُهُ نقصٌ ولا يمازجُه ضعفٌ أوْ قصورٌ ماديٌّ أوْ معنويٌّ.

دلالةُ التّركيبِ الوصفيّ ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾:

أجـلُّ أجـرٍ في الجنَّة رؤيةُ اللهِ تـعـالى، وهـي أكرمُ نعمةٍ

يُرادُ بالتّركيب الوصفيِّ في قوله تعالى: ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ كلُّ ما يُطلقُ عليه أجرٌ كريمٌ، فيدخلُ فيه الجنَّة بنعيمِها الشّامل دخولًا

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفردات: (أجر).
(2) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 448، وابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 304.

أوّليًّا، فإنَّها دارُ كرامةٍ لا كَدَرَ فيها بوجهٍ، وأجلُّ أجرٍ ينالُه المؤمنونَ وأعظمُه رؤية اللّه تعالى، اللّهم متِّعنا بالنَّظر إلى وجهك الكريم[1].

نكتةُ الجمعِ بينَ المغفرةِ والأجرِ الكريمِ:

خشيةُ الرَّحمنِ بالغيبِ لا تكونُ إلّا صادقةً مُخلَصةً

جمعَ النَّظم الجليلُ بين المغفرةِ والأجرِ الكريمِ في قولِه: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾؛ لأنَّه لمّا جمعَ بين اتّباعِ الذِّكْرِ وخشيةِ الرّحمن بالغيب؛ كان الجزاءُ بأمرين؛ للإشعار بأنَّ مَن اتّبعَ الذِّكر وخشيَ الرَّحمن بالغيبِ قد جمعَ بينَ الإيمان والعمل الصّالح، فإنَّ الغُفْرانَ جَزاءُ الإيمانِ، فَكُلُّ مُؤْمِنٍ مَغْفورٌ له، والأَجْرُ الكريمُ جَزاءُ العَمَلِ[2] كما قالَ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [سَبَإٍ: 4].

وقابلَ المغفرة باتّباعِ الذِّكْر أيضًا؛ لأنَّ اتّباعَ الذِّكْر قد يقعُ فيه تقصيرٌ، فناسبَهُ ذِكْرُ المغفرة، وقابلَ الأجرَ الكريمَ بخشية الرّحمن بالغيب؛ لأنَّ خشيتَه بالغيب لا تكونُ إلّا صادقةً مُخلَصة، فناسبَها المجازاةُ بالأجر الكريم، فقابلَ المجموع بالمجموع؛ أيْ: مجموعُ اتّباعِ الذِّكْر وخشيةِ الرّحمنِ بالغيبِ يقابلُهُ البشارةُ بمجموعِ المغفرةِ والأجرِ الكريمِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأجرُ والجَزاءُ:

الأجرُ عطاءٌ مُقابلَ عملٍ بعَقْدٍ، والجزاءُ عطاءٌ عن عقدٍ وبدونِه

(الأجرُ) يُقال فيما كانَ عن عقدٍ وما يجري مَجرى العقد، ولا يُقالُ إلّا في النَّفع دونَ الضُّرِّ، نحوُ قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: 199]، وقولِه تعالى: ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشّورى: 40]، و(الجزاء) يُقال فيما كانَ عن عقدٍ وغير عقدٍ، ويُقالُ في النّافع والضارِّ، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ [الإنسان: 12]، وقوله تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النّساء: 93][3]، ولمّا كان (الأجر) مُختصًّا بمواضعِ النّفعِ ناسبَ اختيارُه في موضعِ بِشارةِ المؤمنين.

---

(1) الشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 339، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 390.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 257.

(3) الرّاغب، المُفردات: (أجر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»